

مدينة الأغواط في الفترة المعاصرة: دراسة تاريخية اقتصادية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين.

City of Ghouat in Contemporary Times: A historical economic study through the writings of travelers and geographers.

حكيم علي عباس^{*1}

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، h.aliabbass@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2022/10/07 تاريخ القبول: 2022/12/04 تاريخ النشر: 2023/01/01

الملخص:

تعتبر كتب الرحالة والجغرافيين من المصادر الهامة التي لا غنى عنها في دراسة تاريخ أي منطقة، وذلك نظرا لتغطيتها كل حقول المعرفة التاريخية بوصفها للواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وهي بذلك تسد فجوات كبيرة وتشفي غليل الباحثين المهتمين بذلك المجال والمختصين فيه، وتأسيسا على ذلك جاءت هذه الورقة البحثية محاولة التطرق إلى المادة التي توفرها هذه الكتب التي اقتصت في دراسة تاريخ منطقة الأغواط خلال القرن الفترة المعاصرة، وذلك باعتماد على نصوصهم التاريخية والجغرافية التي كانت تعد انعكاسا صادقا لتاريخ تلك المنطقة خلال تلك الحقبة التاريخية. فماهي إذن أهم الجوانب التي تطرقت لها وعالجتها هذه المدونات والكتب التي تناولت تاريخ منطقة الأغواط؟

الكلمات المفتاحية: كتب الرحالة والجغرافيين؛ المعرفة التاريخية؛ منطقة الاغواط؛ الواقع الاقتصادي والاجتماعي.

Abstract:

The books of travelers and geographers are considered among the important and indispensable sources in the study of the history of any region, due to their coverage of all fields of historical knowledge as they describe the political, social, economic and cultural reality.

Based on that, this research paper came as an attempt to address the material provided by these books that specialized in studying the history of the Laghouat region during the nineteenth century AD, based on their historical and geographical texts, which were considered a true reflection of the history of that region during that historical era. So, what are the most important aspects that these blogs and books that dealt with the history of the Laghouat region touched upon and addressed?

Keywords :

Books of travelers and geographers, historical knowledge, the region of Laghouat, economic and social reality.

مقدمة:

تعتبر كتب الرحلات والجغرافيا من بين المصادر التاريخية الهامة والأساسية التي كانت منذ أمد بعيد ولا تزال إلى اليوم تشكل إطارا ومرجعا يستقي منها الباحثين معلوماتهم لتوثيق وأرشفة تاريخ أي منطقة، خاصة إذا اعتبرنا أن هذه المصنفات تعد من المصادر التي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها وذلك باعتبارها جزءا هاما ومكملا للكتابات التاريخية الأخرى. إن من أبرز خصائص ومميزات كتب الرحلة والجغرافيا أنها تسلط الضوء على العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية التي قلما يشار إليها في الحوليات التاريخية الأخرى، فهي بذلك تقدم صورة واضحة عن الواقع العام لتلك المناطق وحالتها وكذا وضع السلطة العامة والطبيعة والزراعة والتجارة وغيرها من القضايا الأخرى. فالرحالة والجغرافيين يدونون كل ما يرونه ويشاهدونه أو يعايشونه من ملامح وعادات وتقاليد السكان، وجل المواقف التي يتعرضون لها وتأثر فيهم ويتأثرون بها، وهم بذلك يعرفون بالمنطقة وموقعها وكل ما تعلق بأخبار تلك البلاد التي زاروها، إذ أنهم لا يتركون شيء يثير اهتمامهم إلا وأشاروا إليه.

وبناء على ما سبق جاء هذا المقال بغرض تسليط الضوء على أحد أبرز المحطات التاريخية التي مرت بها مدينة الأغواط ومكانتها في الفترة المعاصرة، وذلك من خلال إبراز واستجلاء أهم القضايا السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعرضت لها كتب الرحلات والجغرافيا عنها خلال تلك الحقبة الزمنية، حيث قدمت لنا تلك المصنفات معلومات بالغة الأهمية والقيمة لم نجد لها ذكر في الكثير من الحوليات التاريخية الأخرى.

*الأوضاع العامة لمنطقة الأغواط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا

تزخر كتب الرحالة والجغرافيين بمادة غزيرة في شتى الجوانب المتعلقة بمنطقة الأغواط، ومن خلال هذه النقطة سنحاول الحفر بين دفتي هذه الكتب لاستخراج أهم الجوانب المتعلقة بهذه المنطقة موضوع ومحل الدراسة.

1. الموقع الجغرافي لمنطقة الأغواط:

لقد قدمت لنا كتب الرحالة والجغرافيين وصف دقيقا لمنطقة الأغواط وذلك من خلال تحديد موقعها بدقة وكذا مسالكها وتضاريسها، وقد امتازت دراساتهم بالدقة والشمولية ذلك لأنهم اعتمدوا على مشاهدتهم ورؤيتهم للبلاد وفيما يلي استعراض لموقع المنطقة كما أورده هؤلاء الرحالة والجغرافيين الذين تناولوا المنطقة في كتاباتهم.

يذكر ابن الدين الأغواطي¹ في نص رحلته² بأن الأغواط بلدة كبيرة، وهي محاطة بسور وحوله تحصينات ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد³.

كما تطرق أيضا الكاتب إدموند مونجان "E. Mangi" (1844-1890م) لذي حديثه عن تاريخ منطقة الأغواط وذهب إلى تحديد موقعها جغرافيا كما بين تضاريسها وما كانت تتوفر عليه من مواد أولية وذكر المجاري المائية التي كانت تعبر المنطقة وكان من أهمها واد مزري وواد جدي... وحدد منابعها ومصايبها وغير ذلك⁴. كما وصف هذا الكاتب أيضا المنطقة أحسن وصف حين قال: "بأنها كانت محاطة بسور توجد به قلعتين أو حصنين أحدهما في الشمال الشرقي (قلعة مورود Morand) والثاني في الجنوب الغربي (قلعة بوسكارين Bouscaren) بالقرب من ضريح المرابط الحاج عيسى الذي يعتبر أصل وجود المدينة"⁵.

أما فيما تعلق بتسمية منطقة الأغواط فقد أشار إلى ذلك الشيخ أطفيش⁶ لذي حديثه عن منطقة الأغواط حيث قال في تعريفه للمدينة: "تسمى كذلك لأن أرضها بعضها منخفض

وبعضها الآخر عال⁷، وهو نفس الشيء الذي ذهب إليه بول صولية⁸ "Paul Soleillet" حيث جاء في تقريره عن الأغواط بأنها سميت كذلك لانبساطها فهي تشكل سهلا منخفض كبير به واد كبير يفيض في كل مرة يسقط فيها المطر والناس تسقي منه ومياهها صالحة للشرب⁹. إن المتأمل في العبارتين الأخيرتين يدرك بأن الرحلات التي قام بها الرحال والجغرافيين كانت ملمة وبشكل كبير بجغرافية منطقة الأغواط، حيث عمدوا إلى ذكر تضاريسها التي كانت تمتد على طول الشريط من الشرق إلى الغرب على ثلاثة تلال وكانت الجهة الجنوبية تعتبر أكثر انحدارا من الجهة الشمالية¹⁰.

وقد أشار أيضا الأغواطى إلى الجبال والأنهار التي كانت تجري في المدينة فقال بأن بجبل عمور جبل عال جدا وفيه مائة عين جارية وينبع منه نهر كبير يسمى نهر الخير وهو مشهور عند الجميع وقال بأن وادي أمزي كان يقسم الأغواط إلى شطرين وهو يجري وسطها وهذا الواد مشهور في الناحية¹¹.

كما ذهب أيضا بول صولية إلى ذكر حدود منطقة الأغواط حين قال بأنها تقع جنوب عاصمة الجزائر على مسافة 410 كلم وهي مرتفعة عن البحر الأبيض المتوسط ب 870م¹²، وهي بذلك تبعد عن مدينة الجزائر بمائتين وخمسين ميلا وتقع على خط الطول 55 ودقيقتين شرقا، وخط العرض 48 و 23 دقيقة شمالا، ويبلغ ارتفاعها على مستوى البحر 2400 قدما¹³، وفي نفس السياق ذكر الأغواطى أيضا إلى القول بأن تجمعات تقع على مسافة مسيرة يوم شمال الأغواط في حين تقع عين ماض غرب تجمعات، والمسافة بينها وبين الأغواط مسيرة يوم¹⁴. وهكذا فقد أمدتنا كتابات هؤلاء الرحالة وصف دقيقا ومحكما للموقع الجغرافي للمنطقة الأغواط وذلك من خلال ذكرهم جل حدود المنطقة وجبالها وأنهارها وتضاريسها وغير ذلك مما تعلق بهذا الجانب.

2. الصورة السياسية لمنطقة الأغواط من خلال كتب الرحلة:

لم تكن منطقة الأغواط خلال الفترة المعاصرة بعيدة عن الأحداث السياسية التي عاشتها الجزائر خلال تلك الفترة. وسنحاول في هذا العنصر التطرق إلى الوضع السياسي للمنطقة على حسب ما ورد في كتب الرحالة.

تعرف منطقة الأغواط بأنها بوابة الصحراء ولا تخفى أهميتها وخاصة على الجيش الفرنسي الذي كانت نيته منذ البداية بعد احتلال الجزائر السيطرة على جيرانها، ومنها الانطلاق نحو افريقيا، وهكذا فقد استماتت القوات الفرنسية ودفعت جنودها للسيطرة على المنطقة بحكم أنها كانت تمثل منطقة عبور بين المناطق التلية الشمالية والمناطق الصحراوية الجنوبية¹⁵، ولذلك ركز الفرنسيين كل اهتماماتهم بالمناطق الصحراوية وبموضوع الموصلات وطرق القوافل القديمة باعتبارها العنصر أساسي وفعال من أجل تسهيل عملية نقل قواتهم العسكرية الغازية وتوفير ظروف الاستقرار في المراكز العسكرية التي أنشأوها وكذا ربط مستعمراتهم المختلفة مع بعضها البعض من الشمال والغرب والوسط¹⁶.

أما فيما تعلق بالظروف التي شهدتها المنطقة خلال الحقبة الاستعمارية فنجد أن "فيرومنتين" "ferromentine" يشير إلى أن الجيش الفرنسي كان قد استولى على ضريح الولي سيدي الحاج عيسى وحوله إلى نصب تذكاري للضباط الذين ماتوا هناك، كما حول مسجدها إلى كنيسة مسيحية، كما ذكر أيضا بول صوليه في رحلته بأن مدينة الأغواط أصبحت تابعة للحكم الفرنسي بداية من سنة 1844م، وذلك بعد أن تم تعيين الجنرال مايو منغو Marey « Monge حاكما على المنطقة، وانطلاقا من ذلك التاريخ أصبحت مدينة الأغواط منطقة فرنسية، وتم تعيين الخليفة أحمد بن سالم حاكما عربيا لها يساعده يحي بن سالم في تولي مسؤولية الأهالي¹⁷.

لقد شكل سقوط الأغواط حدثا بارزا في كل أنحاء الصحراء، حيث استطاعت فرنسا من تحقيق ربح كبير في الجنوب وذلك من خلال نجاحها في اتخاذها مركزا لتوجيه العديد من الحملات العسكرية ضد عدة مدن صحراوية¹⁸، ومن خلال الدراسات التي عنيت بهذا الجانب جعلتنا نستكشف بأن هؤلاء الرحالة والمستكشفون كانوا قد قدموا للاحتلال خدمة جلية وذلك من خلال تزويدهم بكافة المعلومات والخرائط والرسومات التي يسرت له التحرك في هذه المناطق¹⁹.

3. الصورة الاقتصادية لمنطقة الأغواط من خلال كتب الرحلة:

لقد أُنبتت كتب الرحالة والجغرافيين في الحديث عن الواقع الاقتصادي لمنطقة الأغواط خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وسنحاول من خلال هذا المحور استعراض أهم تلك الجوانب التي أشارت إليها هذه المؤلفات.

3.1 الجوانب الزراعية:

بالعودة إلى كتابات الرحالة والجغرافيين الذين زاروا منطقة الأغواط أو نقلوا عن غيرهم ممن زارها نجدهم في مجملهم يشيدون بإمكانيات الزراعة للمنطقة، ولعل من أبرز هؤلاء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الحاج ابن الدين الأغواطي الذي قال بأن أراضي جبال عمورة بالأغواط كانت صالحة للزراعة²⁰، وفي ذات السياق فقد أشار بول صوليه لدي حديثه عن أراضي منطقة الأغواط قال بأنها تزرع فيها الخضر والقمح والشعير²¹.

هذا ونجد أن الأغواطي قد أشار أيضا إلى الإنتاج الزراعي للمنطقة وتحدث عن وفرته، ثم راح يعدد أنواع تلك المنتجات ومن بين أبرز ما ذكره نجد قوله: "وهي تنتج الفواكه بكثرة ومن بينها التمر، والتين والعنب، والسفرجل، والرمان والإجاص."²²

وبناءً على ما سبق يتضح لنا أن هذه المنطقة كانت قد شهدت انتعاشا زراعيا خلال فترة الدراسة، وهذا راجع إلى الاهتمام والعناية الكبيرة التي أولوها للجانب الزراعي وكذا ادراكهم لقيمتها وأهميتها.

3.2 الجوانب الصناعية:

من خلال كتابات ونصوص الرحالة والجغرافيين عن منطقة الأغواط يدرك الباحثين مدى غناها بالمعلومات القيمة المتعلقة بالنشاط الاقتصادي، حيث أسهمت هذه الأخيرة وبشكل كبير في تقديم صورة واضحة عن النشاط الاقتصادي الممارس في هذه المدينة المنوه في الدراسة ولا سيما ما تعلق بالنشاط الصناعي وهو ما سنتطرق إليه في هذه النقطة من خلال ذكر بعض النماذج التي تطرقت إليه كتب الرحلة.

من بين القضايا الهامة التي سلطت كتابات الرحالة الضوء عنها والمتعلقة بالنشاط الصناعي هو ما أورده الأغواطي في رحلته وذلك من خلال قوله: "هناك جبل من الملح بالقرب من جبل عمورة" وهذا ما يؤكد لنا بأن المنطقة كانت تتوفر على الملح بشكل كبير²³.

ومن بين الصناعات التي كانت سائدة في المنطقة صناعة البارود حيث كان سكان تلك المدينة يهتمون بها، وكان الأغواط قد أشار في كتابه إلى الطريقة التي كان يصنع بها هذا البارود حيث يقول عن ذلك: " وجميع سكان هذه الصحاري يعرفون فن صناعة البارود. وطريقتهم فيه هي هذه: يجمع التراب من الأرض أو الملاط في القرى المهدامة، وكان هذا التراب في الأصل يتكون من مادة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليه الماء... ثم يغلى ذلك الماء إلى أن يصبح خائرا. ثم يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربع ساعات فتصير بارودا"²⁴.

هذا اضافة إلى بعض الصناعات الأخرى التي كان اليهود وبني ميزاب الذين كانوا يقطنون بالأغواط يقومون بها كصناعة الحلي وكذا الفضة، والمزاييون كانت لديهم مفاظات صغيرة للنسيج²⁵. وهكذا فقد أسهمت نصوص هؤلاء الرحالة في إعطاء صورة واضحة عن أهم الصناعات التي كانت سائدة في منطقة الأغواط خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

3.3 الجوانب التجارية:

لقد أفصحت كتب الرحالة والجغرافيين التي تناولت تاريخ مدينة الأغواط عن الكثير من المعلومات والحقائق الهامة المتعلقة بالنشاط التجاري الممارس في هذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر ميلادي. ومن خلال هذه النقطة سنحاول التطرق لأهم تلك الأنشطة التجارية كما ذكرها هؤلاء الرحالة.

لقد تحدث الأغواط عن النشاط التجاري الممارس في منطقة الأغواط وقال بأنها لم تكن تخصص مكان للسوق، ولكن رغم ذلك فقد كان الحركة التجارية تسير بشكل عادي وذلك من خلال المحلات التجارية المنتشرة في المنطقة، أما فيما تعلق بالعملة المستخدمة خلال تلك الفترة فقد ذكر بأنها نفس عملة الجزائر وفاس²⁶.

واضافة إلى ذلك فقد أشار أيضا الرحالة فيرومونتين أثناء رحلته الذي قال بأن منطقة الأغواط كانت تتوفر على شارع وحيد للباعة، وذكر بأنه كانت تفتح به دكاكين صغيرة مخصصة لبيع الألبسة ولوازم الخياطة وكذا القماش، كما وجدت محلات أخرى كانت مخصصة للخياطة كان يفتحها الميزاييون، كما وجدت أيضا ورشات صغيرة كان اليهود

يمارسون فيها حرفة الحدادة وصناعة الحلبي الفضية، كما وجدت أيضا سوقان للأحلاف وآخر لبيع الأغنام، الماعز، الدجاج، ومختلف المنتوجات الفلاحية والحاجيات الضرورية للسكان، كما كان أيضا حمام ابن سالم يكتسي طابعا تجاريا هاما خلال تلك الفترة حيث كان يقصده الناس للاستحمام خاصة في المناسبات²⁷.

كما أفادتنا بعض الرحلات بأن منطقة الأغواط كان بها مستودعات للرصاص والغذاء، حيث كان سكانها يمارسون تجارة المواد الغذائية وبعض المشروبات والتمر وتجارة البقالة واللحوم، كما أنها كانت تعتبر منطقة عبور للمغرب والسودان، وذلك بحكم أن التجارة كانت تتم مع المغرب وورقلة ووهران وهذا راجع إلى المسلك السهل الذي كان يصلها بالعاصمة، ولذلك كانت تعد منطقة مميزة برغم من بعض المعوقات وبخاصة الكثبان الرملية بالمنطقة²⁸.

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار النشاط التجاري في منطقة الأغواط إنشاء عدة طرق وكذا تعبيد طرق السيارات من سطافة، غرداية والأغواط عبر وادي ميزاب ثم الطريق من غرداية نحو ورقلة، وكل هذه العوامل ساهمت في تمتين العلاقات التجارية بين التل والصحراء²⁹، وبناء على ما سبق ذكره فقد أوضحت كتب الرحلة والجغرافية الواقع التجاري في منطقة الأغواط وأهم العوامل والظروف المتحكمة فيه وذلك من خلال نصوص التي أوردتها هؤلاء والتي كانت تعد مرآة صادقة لتلك الأوضاع.

4. الجانب الاجتماعي

اهتمت العديد من الرحلات بالجانب الاجتماعي أشد الاهتمام وأولوه كل العناية حتى يتسنى لهم فهم عقلية سكان الأهالي ومعتقداتهم وعاداتهم لاستدراجهم لتقبل الطرف الآخر، وقد سعى هنري بارث " Henri Barth " من أجل اقناع فرنسا للقيام بعمل جبّار وواسع في الصحراء الافريقية التي طلب منها الاستحواذ على هذه المناطق دون فصلها عن الجزائر، وعلى السلطات الفرنسية ان تتفهم عقلية سكان تلك المنطقة واحترام الدين الاسلامي لذلك يستحسن اختيار روادها لهذه المهمة، وأشار الرحالة فيرومنتين " Ferromentine " الى النظام الاجتماعي القبلي المشكل من هرم قمته يمثلها شيخ القبيلة وأسرته، بعدها يليه الفرسان وفي الأخير يأتي الفقراء والخدم، أما لباسهم فيقول انهم يلبسون اللباس البالي والممزق نتيجة

الفقر³⁰، في حين يشير الرحالة مالتسان "Maltsan" ووصفا مغيرا لسكان الأغواط فيقول: "أن سكان الأغواط يلبسون البرانس السمراء وفرساتهم صامتون ستعممون بعمامات... أجسادهم هزيلة³¹، وأما نساؤهم فهم محترمات لا يخرجن من بيوتهن أبدا عكس نساء عين ماضي الذين يظهرن في الشوارع، إلا أن لباسهن مستور وواسع من صنع محلي ويرجع ذلك الى تدينهن الشديد³²."

قد كانت لغة سكان أهل الأغواط هي العربية، أمّا السكان فهم فريقان: فريق الأحلاف وفريق أولاد سرغين وهم غالبا في حالة حرب بينهم، وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة³³.

إلا أننا نجد ان الرحالة فيرومنتين "Ferromentine" قد بالغ كثيرا عندما وصف سلوكيات المجتمع الأغواطي عندهم ووصفهم أنهم يحبون النوم ومتكديسين فوق بعضهم ووصفهم بالجنس التافه الرديء³⁴، وتطرق الى الأدوار التي تتقاسمها العائلة في العمل واصفا الرجل بالكسل والخمول، في حين أن الزوجة تقوم بأعمال كرعي الأغنام والنسيج والحياكة، أمّ الأطفال فيكلفون بجلب الماء واعمال أخرى وأشار الى الزواج المبكر للفتيات حيث يتزوجن في سن الثانية عشر³⁵.

5. الجانب العمراني لمنطقة الأغواط:

لقد شهدت منطقة الأغواط تحولات وتطورات كبيرة، وذلك من خلال جملة التوسعات الحضرية والمدنية، والتي مسّت بشكل أو بآخر مختلف الأراضي الواحات للمدينة والتي كانت مخصصة للزراعة، فقد حظيت الولاية منذ زمن مضى باهتمام كبير من طرف السلطات وذلك من خلال المشاريع والبرامج الخاصة بالتعمير والبناء والتشييد، كما ساعدها في البناء موقعها الجيوستراتيجي، وأمّا نمو وتطور وتحول المدينة نذكره في المحطات التالية:

5.1. مرحلة ما قبل 1852 م³⁶: (أي ما قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر):

فكما يذكر أنّ النواة القديمة للمدينة هي عبارة عن قصر كبير تحيط به سبعة أبواب من كل الجهات، وذلك لرصد حركة النقل والعمل، وكانت مساحتها تقدّر ب6,53 هكتار، وكان يقطنها تجمعات سكانية وهما "أولاد سرغين" و"أولاد لحلاف"، وبذلك يفصلان بين الواحات الشمالية والواحات الجنوبية³⁷.

ويصف الرحالة ابن الدين الأغواطي أن الأغواط بلد كبير محاطة بسور وحولها تحصينات، ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد، وعرفت حفر الآبار وحفر القنوات، وحصين البلدان في المناطق التي شملتها الرحلة بالمسح، كما تفتقد هذه المنطقة للحمامات؛ وتوجد شرقي الأغواط آثار بلدة قديمة كان أمراؤها مسيحيين، يقول سعد الدين لعله يقصد الروم أو الرومان³⁸، وقد بنيت بلدة الأغواط من الطين بالدرجة الأولى غير أنّ المنازل مبنية بالحجر والملاط وليس للمساجد فيها منارات، كما يوجد بهذه البلدة مكان مخصص للسوق³⁹، وقد بنيت تجمعات بنفس مادة بناء مدينة الأغواط وبيوتهم (أهل تجمعات) مبنية بالحجر والطين⁴⁰.

2.5. مرحلة الاحتلال الفرنسي:

بوصول الاستعمار الفرنسي الى الجزائر واحتلاله لمعظم التراب الوطني، وقعت المدينة في أيدي المستعمرين، وأنشأت فرنسا عدّة مراكز سكنية بطراز أوروبي لا يتعدّى علّوها الطابقين بشكل شطرنجي، إضافة الى إنشاء مستشفى وثكنة عسكرية، وهذا بمحاذاة المدينة وسميت هذه المنطقة بالغربية، كما توسعت هذه الجهات المذكورة وذلك بربطها بشبكة الطرق نحو الواحات المختلفة بإنشاء محورين رئيسيين بمنتصف الواحات الشمالية والواحات الجنوبية⁴¹، وقد رافق هذا الانجاز بناء سكنات مختلفة على طول المحاور الفرعية، واستحدثت عدّة منافذ ومعابر وسكنات مختلفة، وقد وصل النمو الديمغرافي آنذاك الى 254,66 هكتار أي نسبة 7,52 من مجموع المساحة الكلية للمدينة⁴².

6. الجانب الديني

لقد اهتمت المنطقة بالجانب الديني بشكل كبير بدليل أنّ بها الزاوية التيجانية والتي تستقطب الزوار والوافدين من كل صوب وحذب، فأطلق عليها فيرومتين بالمدينة المقدّسة، فتستمد قدسيتهما من الولي التيجاني الذي يحظى باحترام جميع السكان، كما أنّ المدينة تطبعها الممارسات الدينية من قبل كل الفئات⁴³، باعتبار ان سكانها متدينون ويتوقون لمعرفة أحكام الدين الاسلامي، كما أشار الرحالين لفريضة الصوم، فأعطوا لنا صورة شاملة عن الصيام في المناطق الحارة وحالة الصائمين هناك، عدا ذلك فإنه لا يوجد أي عربي يخرق قانون الصوم الصارم⁴⁴.

ويصف لنا بول صوليه Paul Soleillet كيف يستقبلون شهر رمضان بالحفل الديني، ووصف المساجد التي تؤدي فيها الصلاة في زاوية عين ماضي بالمباني البسيطة بحيث تفرش الأرضية ببساط أحمر خشن يصطفون فيه الرجال في صفوف مستقيمة، كما ينشدون بعد ذلك المدائح لفترة طويلة من الليل⁴⁵.

الخاتمة:

من خلال دراستنا المتواضعة لما ورد في كتابات الرحالة والجغرافيين حول منطقة الأغواط خلال الفترة المعاصرة، جعلتنا نقف على بعض الحقائق المهمة التي خلصنا بها في نهاية هذه الدراسة والتي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

قدمت لنا كتب الرحالة والجغرافيين وصف دقيقا لمنطقة الأغواط وذلك من خلال تحديد موقعها بدقة وكذا مسالكها وتضاريسها، وقد امتازت دراساتهم بالدقة والشمولية ذلك لأنهم اعتمدوا على مشاهدتهم ورؤيتهم للبلاد.

جاءت كتابات الرحالة والجغرافيين في مجملها مؤكدة بأن مدينة الأغواط قد شهدت انتعاشا زراعيا خلال الفترة محل الدراسة، وهذا راجع إلى اهتمام والعناية الكبيرة التي ألوها للجانب الزراعي وكذا ادراكهم لقيمته وأهميته.

بيت هذه الدراسة أيضا بأن كتابات ونصوص الرحالة والجغرافيين عن منطقة الأغواط كانت غنية بالمعلومات القيمة المتعلقة بالنشاط الاقتصادي، حيث أسهمت وبشكل كبير في تقديم صورة واضحة عن النشاط الاقتصادي الممارس في هذه المدينة المنوه في الدراسة ولا سيما ما تعلق بالنشاط الصناعي.

أكدت هذه الدراسة كذلك بأن كتب الرحالة والجغرافيين التي تناولت تاريخ مدينة الأغواط قد أفصحت عن الكثير من المعلومات والحقائق الهامة المتعلقة بالنشاط التجاري الممارس في هذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

كما أوضحت هذه الدراسة أيضا الدور الكبير الذي أداه هؤلاء الرحالة والجغرافيين في التعريف بمنطقة الأغواط في جل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والدينية، فكانت بذلك نصوصهم بمثابة السند والعون الذي يستأنس به الباحثين في كتاباتهم ودراساتهم حول المنطقة.

المراجع:

- 1- الأغواطى الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطى الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تر. و تح. أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 2- بوباية عبد القادر، دور الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مجلة عصور جديدة، عدد6، ربيع 1433هـ/2012م.
- 3- يحي بن بهون حاج أمحمد، رحلة القطب الشيخ أمحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
- 4- مقدم رشيد، مدينة الأغواط من خلال كتابات الرحلات الجغرافية خلال القرن 19م، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 14، عدد1، جوان 2019.
- 5- مالتسان هانريث فون، ثلاث سنوات في شمال افريقيا، ج03، تر: ابو العيد دودو، الجزائر، 1980م.
- 6- محمودي نادية، التحول العمراني وآفاق التوسع لمدينة الأغواط، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مج07، العدد 22، الجزائر، 2010.
- 6- نايلي عبد القادر، الأغواط من خلال الكتابات الفرنسية (مونجان E.Mangin أنموذجا)، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج10، عدد4، ديسمبر 2018.
- 7- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، نويهض الثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.
- 8- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج2.
- 9- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج2.
- 10- سياب خيرة، رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطى المعروفة ب: الرحلة الأغواطية "دراسة طبيعية اقتصادية اجتماعية وعمرانية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، عد 13، جوان 2015.
- 11- العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 12- علالي محمود، التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية – الأغواط أنموذجا -، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة الأغواط، مج1، عدد1، جانفي 2019.
- 13- عمراوي أحميده وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر، 2009.

14-L'Algérie nomade et Ksourienne (1830_1954), edition p tacussel, France, Avril 1989.

الهوامش:

¹⁻ الحاج ابن الدين الأغواطي ينتهي إلى الزاوية الناصرية بناحية الأغواط حيث تعتبر هذه الزاوية فرع من فروع الطريقة الشاذلية والتي تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد بن ناصر الدرعي وهو والد الشيخ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة الناصرية، الذي سمحت له رحلة الحج المرور على الأغواط مرتين (1865-1709 م) أين كسب أتباعا ومريدين ومنهم جد ابن الدين الأغواطي، ومن بعده الحفيد ابن الدين وغيرهم، فكان من الذين ألفوا في هذه الطريقة ومن بين مؤلفاته التي تنسب له حسبما جاء في كتاب الحركة الإصلاحية في الأغواط لصاحبه محمود علالي كتاب الإبريز المنسبك في تفضيل اللآدمي على الملك وكتاب رسالة الدرية في جواب من سأل عن الحقيقة المحمدية. ينظر: سياب خيرة، رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة ب: الرحلة الأغواطية "دراسة طبيعية اقتصادية اجتماعية وعمرانية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، عد 13، جوان 2015، ص180.

²⁻ قام ابن الدين الأغواطي برحلة إلى الصحراء فجمع في هذه الرحلة أخبارها وعاداتها وقراها ووحاها وبين الحديث عن جزء من الجزيرة العربية وجربة وقابس وشنقيط ونحوها وليس من الواضح أنه زار هذه أماكن التي وصفها ولعله سمع عنها فقط، وكانت هذه الرحلة في غاية الأهمية فهي مكتوبة في سنة 1242هـ وهي تقع في كراسه وتحتوي على أربعة عشر صفحة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص386.

³⁻ الحاج ابن الدين الأغواطي ، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تر. وت.ج. أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص87.

⁴⁻ عبد القادر نايلي، الأغواط من خلال الكتابات الفرنسية (مونجان E.Mangin أنموذجا)، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج10، عد4، ديسمبر 2018، ص23.

⁵⁻ المرجع نفسه، ص23.

⁶⁻ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، وينتبي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية المالكة في تونس، مجتهد من أكابر العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الإصلاحية الحديثة بالحديثة، ولد في بني يسقن وبها نشأ وتعلم، سافر إلى الديار المقدسة مرتين وكان يؤلف وهو في السفينة، عكف على التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد إلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه وعمره ستة وتسعون عاما له هيمان الزاد ليوم المعاد في التفسير في ستة أجزاء... ينظر: عادل نوميض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، نوميض الثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980، ص. ص19-20.

⁷⁻ مقدم رشيد نقلا عن يحيى بن مهون حاج أحمد، رحلة القطب الشيخ أحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، صص 31-34.

⁸⁻ بدأ بول صولية في تحضير رحلته إلى الجزائر منذ سنة 1866م، وذلك بعد أن تعرف على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم كما درس أيضا كتب التاريخ والجغرافيا والكتابات الاقتصادية حول إفريقيا، غادر مرسيليا في 6 ديسمبر 1872م متجها إلى الجزائر وبعد إنهاء الاستعدادات بدأ رحلته نحو عين صالح فزار الأغواط وغرداية ثم دخل متليبي وبدأ رحلته الاستكشافية الحقيقية من المنبعا إلى عين صالح، وكان هذا أخير قد قدم خدمة جلية لاستعمار الفرنسي الذي استفاد من كتاباته في توسعهم في الجنوب. ينظر: عبد القادر بوبايا، دور الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مجلة عصور جديدة، عدد 6، ربيع 1433هـ/2012م، ص 25.

⁹⁻ مقدم رشيد، مدينة الأغواط من خلال كتابات الرحلات الجغرافية خلال القرن 19م، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 14، عدد 1، جوان 2019، ص 207.

¹⁰⁻ المرجع نفسه، ص 207.

¹¹⁻ الحاج ابن الدين الأغواط، المصدر السابق، ص 89. وأبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج 2، ص 253.

¹²⁻ مقدم رشيد، المرجع السابق، ص 207.

¹³⁻ اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 150.

¹⁴⁻ الحاج ابن الدين الأغواط، المصدر السابق، ص ص 88-89.

¹⁵⁻ محمود علالي، التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية - الأغواط أنموذجا -، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة الأغواط، مج 1، عدد 1، جانفي 2019، ص 138.

¹⁶⁻ عمراوي أحميدي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 17.

¹⁷⁻ مقدم رشيد، المرجع السابق، ص 210.

¹⁸⁻ محمود علالي، المرجع السابق، ص 147.

¹⁹⁻ عبد القادر بوبايا، المرجع السابق، ص 163.

²⁰⁻ الحاج ابن الدين الأغواط، المصدر السابق، ص 89.

²¹⁻ مقدم رشيد، المرجع السابق، ص 210.

²²⁻ الحاج ابن الدين الأغواط، المصدر السابق، ص 87.

²³⁻ المصدر نفسه، ص 88.

²⁴⁻ المصدر نفسه، ص ص 90-91.

²⁵⁻ رشيد مقدم، المرجع السابق، ص 211.

²⁶- الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص 88.

²⁷- رشيد مقدم، المرجع السابق، ص 211.

²⁸- المرجع نفسه، ص 211.

²⁹- المرجع نفسه، ص 212.

³⁰- المرجع نفسه، ص 215.

³¹- هانريث فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال افريقيا، ج 03، تر: ابو العيد دودو،

الجزائر، 1980م، ص 91.

³²- الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 87 , 89.

³³- خيرة سياب، المرجع السابق، ص 173.

³⁴- رشيد مقدم، المرجع السابق، ص ص 215, 216.

³⁵- نفسه، ص 216.

³⁶- L'Algérie nomade et Ksourienne (1830_1954), edition p tacussel, France, Avril 1989.p

37.

³⁷- نادية محمودي، التحول العمراني و آفاق التوسع لمدينة الأغواط، مجلة العلوم الانسانية

والاجتماعية، مج 07، العدد 22، الجزائر، 2010 م، ص ص 142-143.

³⁸- الأغواطي، المصدر السابق، ص 87.

³⁹- خيرة سياب، المرجع السابق، ص 176.

⁴⁰- الأغواطي، المصدر السابق، ص 88.

⁴¹- نادية محمودي، المرجع السابق، ص 142.

⁴²- نادية محمودي، نفسه، ص 143.

⁴³- رشيد مقدم، المرجع السابق، ص 216.

⁴⁴- نفسه، ص 217.

⁴⁵- نفسه، ص 218.